العلاقات التروزية الفرنسية في عهد الاستعمار الزراعي (1831-1818) من خلال رواية أرنست بريني

محمد المختار ولد السعد
جامعة نواكشوط
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

اضطربت العلاقات التروزية الفرنسية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخها. ومن شأن التذكير - ولوباقتضاب- بالسياق التاريخي العام الذي استؤنفت فيه تلك العلاقات سنة 1817 أن يساعدنا على فهم الأبعاد الحقيقية لذلك الصراع الذي اصطدمت فيه مصالح الطرفين في مصب النهر وتشابكت وتفصلت مع الهموم الآنية لكل منهما.

فقد كانت إمارة الترارزة تعيش أول أزمة خلافة جدية في تاريخها جراء انتقال السلطة من الفرع الأكبر من أبناء أعلى شنظوره (ت: 1727) إلى الفرع الأصغر مع مطلع القرن 19. وإذا كان هذا الانتقال قد تم دون مشاكل - في البداية- باتفاق أهل الحل والعقد على إسناد السلطة لأعمر ولد المختار ولد الشرغي ولد اعلى شنظوره في أعقاب وفاة أعمر ولد المختار ولد أعمر ولد أعلى شنظوره سنة 1800، فإن جناح أهل أعمر ولد أعلى سرعان ما أعرب عن رفض السلطة الجديدة وعمل على استرجاع الإمارة. وقد تزعم تلك المطالبة محمد بن أعلى الكوري ابتداء من 1810 مدعوما من قبل جناح المعارضة التقليدية في الإمارة (أولاد دامان) وإيدوعيش أولا، ثم «والو» والفرنسيين ثانيا.

وإلى جانب هذه الانقسامات الداخلية المتولدة عن صراع العصبيات الخاصة، كان للإمارة - وقتها- مصالحها الخارجية المتعارضة مع المصالح الفرنسية.

فقد كان الترارزة يهيمنون على مملكة «والو» المجاورة ولهم حضور ملحوظ في جارتيها الجنوبية والشرقية (كابور واديولوف). وقد تجسد ذلك النفوذ على مستوى ممالك الضفة اليسرى في دفع المغارم السنوية وطلب الدعم لمواجهة الأخطار الخارجية أو لحسم الخلافات الداخلية على السلطة، فضلا عن حضور الترارزة البشري المكثف في كل من والو

كل الحرص على بقاء تلك العلاقات للاستفادة من التنافس الأوربي في المنطقة على تجارة العلك التي مثلت - دون منازع- القاعدة الاقتصادية لمركز سان لويس الفرنسي من القرن 18 وحتى سبعينات القرن 19 (تعود بداية تصدير الفول السوداني إلى 1864).

أما الفرنسيون فقد استعادوا سان لويس وتوابعه من الانجليز- الذين استولوا عليه للمرة الثانية أثناء الحروب النابليونية سنة 1709-في 1817 بموجب اتفاقية افينا (9يونيو 1815) في ظروف دولية ومحلية صعبة بالنسبة لهم.

فعلى المستوى الدولي ألزمهم الانجليز بانهاء تجارة الرقيق كشرط لتسليمهم سان لويس، وقضت مستعمراتهم في جزر الآنتيل على النظام العبودي حيث قوضت ثورة عبيد سان دومنيك في 1804 مستعمرات الرقيق الزراعية الفرنسية فضلا عن خسارة الصناعة في المراكز الفرنسية بالهند ولاسيما صناعة النسيج فيي بوندشري.

وعلى المستوى المحلي كان نفوذ الترارزة في الحوض الأسفل للنهر قد توطد وأفل نجم تجارة الرقيق وطغت تجارة العلك على النشاطات الاقتصادية في المنطقة منذ منتصف القرن 18 وساهم الانجليز في تعزيز دورها أثناء وجودهم في سان لويس (1809 - 1817) بوصفها مصدر الإغراء الاقتصادي الوحيد في المنطقة(1).

وهكذا ستعمل فرنسا جاهدة بعد استعادة مستعمرة السينغال على إقامة مستعمرة زراعية على الضفة اليسرى للنهر (في «فوته» أولا ثم في «والو» ثانيا) لتعويض خسارتها في العالم الجديد، وتوظيف اليد العاملة التي لم يعد بالإمكان تصديرها، وإيجاد مصدر اقتصادي آخر للحد من تبعية المستعمرة لتجارة العلك. وستصطدم تلك المحاولة بهيمنة الترارزة الفعلية على مملكة «والو» حيث سيعجز الوالي الفرنسي الجديد، الكولونيل شمالتز Schmaltz، وخلفاؤه من بعده عن تحقيق ذلك المشروع بفعل مقاومة الترارزة المسلحة له، ويعرف الثلث الأول من القرن19 سلسلة من الصراعات المكشوفة والمقنعة بين الطرفين.

ويلخص نص مفتش المزارع الاستعمارية بالسينغال أرنست بريني E. Brunet(2) وجهة النظر الفرنسية من تلك الصراعات التي لا توفر لنا المصادر المحلية عنها معطيات تذكر. وهنا تكمن أهمية هذا النص الذي نأمل أن يسد بالنسبة للقارئ عموما، وللباحث خصوصا، بعض النقص في المعلومات عن هذه الفترة التي تشكل منعطفا حاسما في تاريخ التغلغل الفرنسي في المنطقة. فقد تحول الحضور الفرنسي في المنطقة من حضور تجاري في الأساس إلى حضور له مراميه السياسية الواضحة. وتولد عن ذلك -أحيانا كثيرة- تباين في المواقف من الأوضاع المحلية بين التجار الغيورين على مصالحهم المركانتيلية الآنية والسلطات الإدارية ذات الأفق السياسي الأبعد مرمى.

ويتمحور النص حول محاور أساسية ثلاثة:

- مشروع الاستعمار الزراعي ومضاعفاته المحلية.
- محاولات القضاء على الحضور الانجليزي في بورتا نديك ومركزة تبادل العلك على النهر.

الصراعات.

فقد أوضح برينى Brunet كيف شرع اشمالتز Schmaltz فور استعادته قلعة سان لويس بتاريخ 17 يناير 1817 في وضع تصوره النظري لمشروع المستعمرة الزراعية في منطقة النهر وأحاله إلى البارون بورتال Baron Portal وزير البحرية والمستعمرات ليصادق عليه رسميا في 1818.

وعمل الوالي على كسب زعماء المنطقة - باستثناء السلطة القائمة في الترارزة- لمشروعه فأبرم معهم اتفاقيات (المامي يوسف، احمدو بن سيدي أعلي، أعمر فاتيم امبورسو، محمذ آغربط وامحمد بن اعلى الكوري) لضمان أكبر حظوظ النجاح للمستعمرة الزراعية وتحسبا لمعارضة إمارة الترارزة لها. وقد كان اشمالتز يتوجس منها، في الواقع، خيفة وإن تظاهر بتجاهلها والتقليل من شأنها حين قال في رسالة له إلى الوزير: «**لا أعرف ما إذا كان بوسعهم [الترارزة]، وهم في الوضع الذي هم فيه، الإقدام على أعمال عدائية، لكنه سيكون من السهل- في تلك الحالة- القضاء عليهم أو طردهم من البلد، وهو أمر لعمري عظيم الفائدة**»(3).

وماكاد الترارزة يأخذون علما باتفاقية 8 مايو1819 حتى شنوها حربا مدمرة على «والو» وأعربوا عن ملكيتهم العقارية ل«دكّانه» مركز المستعمرة الزراعية في رسالة من الأمير أعمر ولد المختار إلى الوالي لكوبي Lecoupé خلف شمالتز جاء فيها «**ودكّانه قرية لأهل محمد بابانه(4) لاتباع ولا تعار**»(5).

ورد اشمالتز على ذلك بتعميق الهوة بين قطبي الصراع في الترارزة بمدّ يد العون لامحمد بن أعلي الكوري ولأهل «والو» في الحرب ضد اعمر ولد المختار.

وستخف وطأة الصراع التروزي الفرنسي الذي أثاره مشروع الاستعمار الزراعي بموجب اتفاقية 7يونيو 1821 لتنشب خلافات جديدة - أخطر هذه المرة وأشدُّ وطأ بالنسبة للإمارة- مصدرها الاتفاقية السرية التي أبرمت في نفس التاريخ مع محمد فال بن عمير لمنع التبادل مع الانجليز في بورتانديك (اجريده حاليا).

فقد كانت أزمة تجارة سان لويس التي استحوذت على اهتمام السلطات المتعاقبة على المستعمرة طيلة النصف الأول من القرن 19 في بدايتها، وتبذل كل ما في وسعها لإنهاء الوجود الانجليزي على ساحل بورتانديك غير المقبول اقتصاديا وسياسيا بالنسبة للفرنسيين، ذلك «**أن البيضان {على حد قول البارون روجي Baron Roger} أصبحوا شيئا فشيئا أكثر تشددا ويهددون دوما بالذهاب إلى الانجليز، فسعر العلك الآن قد ارتفع ارتفاعا كبيرا نسبيا، فمتوسط القيمة قد بلغ 80إلى 90 رطلا لبيصة النيلة**»(6).

فوجدوا في ابن عمير المعروف بتطاوله على سلطة أهل الشرغي الجديدة ضالتهم المفقودة. وفي ذلك يقول الوالي روجي: «**... لقد حاول المفاوضون السان لويسيون الذين لهم مصلحة كبيرة في منع توجه العلك إلى بورتانديك لما ينجر عنه من أضرار بالنسبة لمحطات النهر، حاولوا كسب ودّ محمد فال الأمير**

Prince الاكثر نفوذا بين امراء الترارزة والذي منحته المعاهدة الاخيرة امتيازات مماثة لامتيازات الملك، فضمن لهم محمد فال عدم نقل العلك إلى بورتانديك، وقبلوا أن يقدموا له هدية تقدر ب 4500ف...»(7).

وسرعان ما علم الأمير أعمر ولد المختار بهذه الاتفاقية وأعرب للوالي عن قلقه منها ومن عواقبها على العلاقات بين الطرفين. وقد أحاط روجي وزيره علما بذلك قائلا: «...إن الملك Roi ينظر إلى هذه الإجراءات باعتبارها إهانة له، وقد أعلن لي عن استعداده للتخلى عن ضرائبه العرفية الجديدة إذا ما تم إلغاء تلك التي تقدم للأمراء الآخرين. وقد قال لي: إن محمد فال سيقتل إذا لم تقضوا على تلك الضرائب، وسندخل معا في حرب»(8).

ووضع أعمر تهديده موضع التنفيذ في مارس 1822 حيث قام إبنه ابراهيم والد باغتيال ولد عسمير على أبواب بورتانديك وهو يحاول صد قوافل العلك للحيلولة دون التبادل مع الانجليز.

وقد زاد هذا الاغتيال الطين بلة على مستوى الإمارة حيث شق أهل الشرغي ولد هدّي وحلفاؤهم الكثر عصا الطاعة على الأمير وانضموا لابن اعلي الكوري وأعلنوها حربا على أعمر. وآزر الفرنسيون هذا الحلف باعتراف مجلس إدارة المستعمرة بابن اعلى الكوري أميرا للترارزة ودعمه ماديا وعسكريا، حيث قرر هذا المجلس في 19 يوليو 1822 منحه 100 بيصة عينا وقيمة 100 أخرى من البنادق والرصاص والبارود. وقد دامت هذه الحرب سبع سنين وتكبد فيها الطرفان خسائر جسيمة، ولم تضع أوزارها إلا بعد مقتل ابن أعلي الكوري في دجمبر سنة 1826.

غير أن تلك الجهود لم تؤت أكلها، فلم تقوض سلطة أعمر ولد المختار المحرج بالنسبة للفرنسيين وحلفائهم من أهل والو والترارزة، ولم توقف التبادل في بورتانديك وتقض على الحضور الانجليزي على سواحل المنطقة.

والأدهى من ذلك أن تلك الصراعات والحروب قد شلت التبادل في مصب النهر وقوضت الأمن والاستقرار فيه ودشنت سياسة انتقامية على الصعيدين الاقتصادي والعسكري. وأمام تردي هذه الأوضاع أعربت بعض الأوساط الرسمية السانلويزية عن عدم جدوائية السياسة المتبعة تجاه الترارزة وضرورة التصالح مع أعمر ولد المختار، في حين نادت بعض الأوساط الإدارية ولوبي الدور التجارية البوردلية النافذ وأصحاب المزارع الاستعمارية بوجه خاص في الدعوة إلى مزيد من تقسيم صفوف الترارزة وإلى التدخل العسكري النشيط.

وقد مثل الموقف الأول الوالي البارون روجي الذي أعرب بجلاء، منذ إبريل 1822، عن موقفه مستخلصا العبرة من التجارب الفرنسية في المنطقة وقال: «... إنها لمسألة كبرى أن نعرف ما إذا كانت سياسة [مستعمرة] السينغال تقتضي شق صفوف الترارزة أو توحيدها تحت قيادة زعيم قوي ... أميل شخصيا إلى هذا الرأي الأخير لأنه من الأفضل أن نتعامل مع زعيم واحد لديه ما

الدليل على ذلك على مستوى البيضان أنفسهم؛ فأمير البراكنه قد قضى على الأوليغارشيا في المناطق التابعة له، وعلاقاتنا معه أسهل بكثير وأكثر أطمئنانا وثقة..»(9).

وانسجاما مع هذا التصور، الذي تبناه على مايدو وزيره(10)، ركز روجي جهوده على أعمر لتسوية الخلافات معه وحمله على التخلى عن بورتانديك مقابل امتيازات جديدة. وفي هذا الإطار تدخل اتفاقيات 17 يوليو و19 أغسطس 1824، و5 يناير 1825 و4 فبراير 1826.

أما الرأي الآخر المناهض للسلام مع اعمر فيمثله صاحب نص:

"Note concernant les démêlés qui ont existé entre la colonie du Sénégal et AMAR OULDOU MOKHTAR, Roi des Maures Trarza, depuis 1819 jjusqu'en 1829"

المطالب بتأجيج الحرب ضد الترارزة عن طريق تجنيد أهل والو وأنصار ابن اعلي الكوري اعتمادا على الرشاوي والتحريض، والعمل على كسب إيدوعيش والبراكنة وتعبئتهم ضد أعمر، واعتراض قوافل الزرع التمويني، وهدم كل قري كَنار، ومعاملة القبائل الزاوية بما تعامل به القبائل الحسانية أثناء الحرب، وعدم السعي بوجه خاص - كما حصل في السابق- «إلى تحقيق السلام عن طريق تنازلات مهينة وباهظة التكاليف لا يمكن حصر عواقبها»(10).

وستتأرجح سياسة المستعمرة بين هذين الموقفين إلى غاية سبتمبر 1828 حيث ستخف حدة التوتر ويجنح الفرنسيون إلى السلم بعد غياب الحليفين المحليين الرئيسيين (ابن اعلى الكوري وملك والو يريم امبانيك المتشدد تجاه الترارزة) والخصم الأساسي في المنطقة (أعمر ولد المختار).

وتعكس اتفاقية 25 مارس 1829 ومحضر المفاوضات الصعبة التي مهدت لها هذا التوجه الجديد الذي سيقوضه، ابتداء من 1832 إعدام الفرنسيين البشع المختار بن امحمد بن اعلي الكوري، وحرب زواج محمد الحبيب من أجنبت وصية عرش والو (1833-1835) التي أعطت للصراع التروزي - الفرنسي في مصب النهر بعدا سياسيا جديدا...

هوامش المقدمة

1) راجع: ANSOM: Sénégal et Dép.I, carton 8, doss 8c, "Baron Roger au Secretaire d'Etat à la marine et aux colonies, St-Louis, le 11 Avril 1823)).

2) أبرينى: المفتش العام للمزارع على مستوى مستعمرة سان لويس، ومحرر العديد من التقارير والرسائل حول الوضع في منطقة مصب النهر عموما ووضعية المنشآت الزراعية الفرنسية في والو خصوصا في نهاية ثلاثينات القرن 19. وترأس، باسم الوالي جيليه Julbelin الوفد السانلويسي في المفاوضات الضنبة مع التوارزة التي سبقت إبرام اتفاقية 25 مارس 1829 ووقع محضرها الطويل (ANSOM: Sénégal et Dép. IV, doss. 16c)

3) ANSOM: Sénégggal I, doss. 6a, pièce n°150 du 5 juin 1819

4) نسبة لمحمد بياته بن اعلى شنظوره جد الفرع الثالث من أبنا ، اعلي شنظوره الذين لم يتقلد منه أحد الإمارة وإن كان ذا نفوذ كبير فيها.

5) ANS: 9G1/14 Mai 1821

6) نفس المصدر: رسالة الوالي إلى وزير البحرية والمستعمرات المؤرخة في 4 من ابريل 1822.

7) راجع رسالة 17 مايو 1822 المحال إليها أعلاه.

8) ذلكم ما يظهر من ملاحظاته الموجودة على هامش الفقرة السابقة من رسالة الوالي، حيث يقول: "Les relations de conciliations sont les meilleurs"

9) راجع الفقرة الأخيرة من نص برينى الوالى.

ملاحظات بشأن النزاعات التي جرت بين مستعمرة السينغال واعمر ولد المختار ملك الترارزة، من 1819 إلى 1829(10)

انقضت أربع سنوات تقريبا منذ أن أصبحت {مملكة} والو، المنهكة بالحروب الأهلية التي قضت على الكثير من سكانها، مجبرة، لأول مرة، على دفع مغارم لبيضان الترارزة(11) شبيهة بتلك التي سبق لهؤلاء البيضان أصلا أن دفعوا لابراك (12) للحصول على بعض الأراضي على الضفة اليمنى.

وعندما استعاد الفرنسيون المستعمرة(13)، كان عليهم أن يقيموا مزارع في هذا الجزء من افريقيا. غير أن الزمن قد كرس تفوق البيضان على الزنوج الذين أصبحوا، إما لوهن حقيقي أو سياسة منهم جراء ما امتازوا به من اللامبالاة، أتباعا خاضعين تمام الخضوع. فملك والو نفسه كان يدفع لملك الترارزة ضريبة سنوية مقدارها مائة ثور قبل هذا الأخير أن يهدي لابراك عوضا عنها فرسا بنفس القيمة. لكن هذه الهدية السنوية المتبادلة، التي كانت على مايبدو ثمرة اتفاق ودّي وضمانة له أصلا، سرعان ما تحولت إلى ضريبة إلزامية بالنسبة للزنوج وغير ملزمة البتة بالنسبة للبيضان. وكانت قرى معدودة من والو، من بينها انداياس، هي وحدها المعفية من تلك الضرائب.

{مايو 1819}(14). قام الكولونيل اشمالتز Schmaltz(15) في 1819، وكان ينوي أصلا إقامة المستعمرة الزراعية في منطقة تورو، بتغيير مشروعه والدخول في مفاوضات بهذا الخصوص مع ابراك وزعماء والو، بعد فشل مفاوضاته مع الإمام ببكر(16) رئيس إقليم ديمار(17). وعلى الرغم من أن أهل والو خاضعون منذ أمد بعيد للترارزة، فقد انتهزوا بتلهف الفرصة المتاحة للتخلص من النير الذي يرزحون تحته مقابل منحهم ضريبة عرفية سنوية تبلغ 8000 فرنك وتخلوا للفرنسيين عن كل أراضيهم غير المزروعة وحق إقامة منشآت في بلادهم، وكرست اتفاقية موقعة في 8 من مايو 1819 تلك الصفقة (18).

وقبل عودة السيد [العقيد] اشمالتز(19) إلى السينغال، ألحق قوم اعمر [ولد] المختار، ملك الترارزة، بعض الأضرار بسكان سان لويس وطلب منهم التعويض عن تلك الأضرار، لكنهم ردوا - كما هي عادة البيضان- على الشكاوي التي وجهت إليهم بأثارة شكاوي أخرى. وسرعان ما أخذت المفاوضات منعرجا حادا، ولم يعد طابع الأشياء سلميا على الاطلاق في عهد الاتفاقية المبرمة مع أهل والو (20).

وقد دعي أعمر لزيارة السيد اشمالتز، ولم يحضر. وفي نفس الوقت تم شتم أوربي من قبل بعض البيضان؛ وتباطأ أعمر أو رفض إنصافه منهم، وتفاقمت الخلافات شيئا فشيئا ولم يبذل أي جهد لتفادي القطيعة أو إبعاد أمدها لوجود اعتقاد خاطئ

كبريائه والنيل- في نفس الوقت - من مصالحه ومصالح الأمراء من أمته.

وقد فكر أعمر منذ ذلك الوقت في الانتقام من الأوربيين وبالذات من أهل والو الخارجين على سلطته بطريقة لم تكن متوقعة بالمرة. فقد تحالف مع الإمام بيكر الغاضب جدا من السيّد اشمالتز، وأفلحا معا في جر بيضان البراكنة وأهل فوته إلى التحالف معهما.

(أغسطس 1819). كانت أول معكة (في هذه الحرب) هي المعركة التي أصيب فيها ابراك برصاصة وقتل أو جرح كل زعماء والو الآخرين تقريبا. وسرعان ما دمرت مختلف قرى والو باستثناء ثلاث أو أربع قرى مجاورة (لسان لويس) حمتها سفننا الحربية أو بطاريات مدفعيتنا لجأ إليها بعض سكان المملكة. أما الباقون فقد قتلوا، أوأسروا واسترقوا، أو انسحبوا إلى أراضي كايور.

(يونيو 1821). لم تجر بعد هذه الحملة النهبية على والو من قبل الحلفاء هجمات حربية بارزة تستحق الذكر. فقد جاء السيّد لكوبي Le Coupé(21) لاستلام زمام الأمور بالمستعمرة في اغسطس 1820، وحدثت منذ ذلك الوقت شبه هدنة عسكرية. وسرعان ما تحقق السلام مع البراكنة وأعيد فتح محطتهم؛ بل وجرى تبادل العلك بصفة غير مشروعة (en interlope) مع الترارزة دون اعتراض من قبل أعمر. وتوجه هذا الأخير، في النهاية، إلى سان لويس في مايو 1821 وأبرم مع السيّد لكوبي في 7 من يونيو 1821 اتفاقية تنص بنودها الأساسية على:

1 -يعترف قائد (مستعمرة) السينغال بحقوق الترارزة على والو، ويمنحهم مقابل ذلك الحق ضريبة عرفية جديدة.

2- يتنازل أعمر، مقابل تلك الضريبة، لقائد السينغال عن كل أراضي الضفتين (الضرورية لإقامة المستعمرة)، ويضمن له حيازتها وحمايتها من الجميع.

3- امتناع البيضان مستقبلا من الإقدام على غزو أو نهب أو الحاق ضرر أو إهانات بأرض والو، اعتبارا لكون تلك المنطقة أصبحت تابعة للسينغال.

4- سيكون قائد السينغال وسيط السلام بين البيضان وأهل والو الذين يجب عليهم الاستمرار في دفع المغارم المترتبة للبيضان عليهم، كما كان الحال من قبل.

وقد نفذت كل تلك الالتزامات حرفيا من جانبنا (فضلا عن تقديم هدية ضخمة جرت العادة بتقديمها عند التوقيع على اتفاقة جديدة) وتم إبرام الصلح بين ابراك وأعمر في دكانه.

وهكذا فقد أفلح هذا الأخير تماما في مسعاه، إذ عاقب ابراك ونال الاعتراف الواضح والصريح بحقوقه على والو ومنح ضريبة عرفية عوضا عن حقوقه، وما انفك يتمتع بتلك الحقوق لأن أمراء الترارزة مستمرون في جباية المغارم التي يدعون ملكيتها.

بشان ملكية والو، وسمحت باعادة فتح كافة المحطات {التجارية على النهر}. وعليه فمن الخطأ القول إن أهل والو وأنصارهم يعتقدون أن سبب الحرب الحالية هو إقامة المنشآت الزراعية {الفرنسية}، كما تروج لذلك بعض الأوساط. فلنرى الأسباب الحقيقية لتلك الحرب.

عند ما كنا نسعى إلى تحقيق السلام مع أعمر، كان يوجد من بين أقربائه أمير شاب يدعى محمد فال ولد عمير(22) استطاع بفضل ثرائه ونبله وإقدامه أن يفوق كل الأمراء الآخرين، وأن ينال خطوة وتأثيرا غير عاديين في الترارزة؛ وعليه فقد سعينا إلى كسب ولائه، ويقال إنه هو الذي أقنع أو أجبر اعمر على التوجه إلى سان لويس. ولتحقيق ذلك الهدف، تعهدنا لمحمد فال - دون علم من أعمر - بدفع ضريبة عرفية كبيرة جدا مماثلة لضريبة الملك،، وأبرمت اتفاقية خاصة بهذا الشأن(23).

لقد فتح الانجليز لأول مرة محطة بورتانديك في 1821(24)، وألحقت تلك المحطة ضررا بالغا بمحطات النهر، لا بكميات العلك التي انتزعت منها فحسب وإنما بسبب ارتفاع الأسعار الناجم عن التنافس كذلك. وأعرب التجار عن مدى ضرورة القضاء على تلك المحطة، وقاموا بعدة محاولات فاشلة بهذا الخصوص تجاه أعمر، ثم فكروا في أن يستخدموا لذلك الغرض محمد فال الآنف الذكر الذي أكد للفرنسيين قبل مغادرته سان لويس ولاءه اللامحدود لهم. وقد أحطناه علما بالمشاريع التي نود استخدامه فيها ووافق عليها مقابل هدية قدمت له على الفور والتعهد بتقديم هدية أكبر في حالة نجاحه في طرد السفن الانجليزية من بورتانديك أو احتجاز قوافل العلك المتجهة إليها.

{مارس 1822}. وسرعان ما علم أعمر بتلك الاتفاقة، ودفعه التذمر من الخطوة غير العادية التي أصبح محمدفال يتمتع بها بعد تحقيق السلام مع السينغال والخوف من تأثير نفوذه المتزايد يوما بعد يوم؛ إلى أن يقرر قتله، ونفذ ذلك القرار بالفعل إبن أعمر الأكبر عند بورتانديك(25).

وقام عمير(26)، والد محمد فال، على الفور - وهو أقوى وأغنى زعيم بعد الملك - باستنهاض معظم القبائل واستدعى محمد {ولد اعلي} الكوري، ابن سلف أعمر(27)، وأعترف به ملكا على المحطات {النهرية} وانضم إليه أهل والو walo المحالفين له منذ أمد بعيد، وقام الجميع بطرد أعمر إلى أعماق الصحراء.

كان ذلكم المصدر الوحيد للانقسام السائد بين صفوف الترارزة وللحرب التي يخوضها أهل والو حتى اليوم ضد أعمر {ولد} المختار.

{إبريل 1822}. وقد نصت مادة من اتفاقية موقعة في {15 نوفمبر 1819} مع أمير الترارزة اعلي الكوري (28) حرفيا على أنه لن يفتح أية محطة في بورتانديك. والتزم أعمر بموجب المادة 13 من الاتفاقيات الجديدة مع لكوبي Le Coupé بالتمسك بتلك الاتفاقية. بيد أنه أقدم بنفسه، بعد ذلك التعهد بقليل، على فتح تجارة العلك للانجليز(29). وعندها رأى {الفرنسيون} أن من حقهم وقف

خلاله، من جديد، عن رفضه القضاء على بورتانديك، وقد تلا ذلك فتور في العلاقات بين الطرفين. وبعد هذا اللقاء بأيام معدودة حصل الانشقاق داخل صفوف البيضان(31) وطرد أعمر إلى داخل البلاد، ولم يكن بالامكان إيجاد تقارب معه.

{مايو 1822}. وقد استمرت الحرب، منذ الفترة السالفة الذكر وحتى أواخر 1824، بين أعمر وفوته مرحليا من جهة، ووالو ومحمد {ولد اعلي} الكوري من جهة أخرى دون مشاركة من مستعمرة السينغال إلا ما كان من تقديم تجار سان لويس لبعض الهدايا لهذا الأخير لمساعدته في جهوده للقضاء على بورتانديك، ودون أن تتوقف تجارة العلك أو يقوم أنصار أعمر باعتداءات جدية ضدنا.

{19 أغسطس 1824}. وعلى النقيض من ذلك، تقدم هذا الزعيم، بصفة غير مباشرة، أكثر من مرة إلى قائد السينغال باقتراحات {لتسوية الخلافات}. فقد تعهد بطرد الانجليز إذا كان بوسعه الاحتفاظ بمحطته على النهر. وتمكن بواسطته أمير من أنصاره في سان لويس {أوجميني}(32) من إبرام اتفاقية بين مفوضين كاملي السلطة التقوا على متن سفينة قرب مستنقع Marigot مارينكوينه (33). ولم يصادق أعمر على هذه الاتفاقية، إلا أنه لو صودق عليها لما أفضت إلى نتيجة لأننا التزمنا بحمل أهل والو على القبول بالسلام، ولم نكن قادرين على الوفاء بهذا التعهد.

{25 يناير 1825}. تم التوقيع بعد ذلك بقليل على اتفاقية أخرى، أعدت بنفس المنطق ولم يكن لها أيضا أثر يذكر، مع محمد شين Hamet Chin(34) وابراهيم، رئيس لبيدات، باسم أعمر. إلا أنه يبدو أن هذين البيضانيين لم يكونا مخولين أية صلاحيات ولم يقترحا عقد هذا الاتفاق إلا بهدف الحصول على هدية، وتحليا بقدر كبير من المرونة جعلهما يحصلان على نتيجة. ويقال إنهما تمكنا من إقناع {مفاوضيهما} بقدرتهما على حمل أعمر على القبول بالمقترحات التي قبلا بها شريطة منحهما إمكانات {مادية} لاستمالة بعض القبائل، وأنهما حصلا كذلك على قيمة كبيرة لهذا الغرض. ومهما يكن من أمر فإن محمد شين Hamet Chin ورئيس لبيدات Boidads(35) ذهبا إلى بلاد كايور وعملا جاهدين على استنهاضه ضد والو، مما يظهر عدم رغبتهما في السلام، وقام بعض رفقائهما بسرقة جملين يملكهما أوربي.

{نوفمبر 1825}. قام البيضان منذ بعض الوقت بسرقات على أهل سان لويس، على الرغم مما جرى من مباحثات واتصالات. وتزايدت شيئا فشيئا تلك الاعتداءات حتى أقدم أولاد آكشار(36) في وضح النهار على انتزاع حوالي 300 ثور من زراع لام صار Lamsar {الفرنسيين}. وقد استنكر أعمر كل أشكال النهب هذه ووعد بإعادة المنهوب.

وقام السيد روجي Roger في ديسمبر 1825 بإيفاد السيدين جرار دين Gerardin وبارتريي Partarrier إلى أعمر للتعجيل بنتائج تلك الوعود

اعمر وثلاثة من كبار الامراء المناصرين له (/ 3) إلى سان لويس.
{6 فبراير 1826}. كان هؤلاء المبعوثون يتمعون بالصلاحيات الضرورية لتحقيق السلام، كما تم التوصل بسرعة إلى تسويات أولية.

فقد التزم البيضان ب:
1- القضاء على محطة بورتانديك إذا كان بالإمكان أن يحقق لهم السلام مع والو.
2- الامتناع عن إرسال العلك إلى هذه المحطة طيلة الفترة التي ستستغرقها المفاوضات.
3- إعادة الـ 300 ثور المستحقة على ابراك {والو} التي قبل والي السينغال منذ أمد بعيد أن يتولى قضاءها.
ولضمان {تنفيذ} الشروط المبينة أعلاه، بقي ثلاثة أمراء رهائن {في سان لويس}، ومن جانبه قبل السيد روجي - تبعا لعادة البلاد المؤسفة- أن يسدد نصف متأخرات الضرائب العرفية، وسددها فعلا دفعة واحدة.
{مارس 1826}. ويبدو البيضان حسنو النية. وكانت النقطة الصعبة التي تجب معالجتها هي السلام مع والو. فقد أرسلنا إليهم رجلا منهم يستوطن سان لويس منذ وقت طويل واحتفظ بنفوذ كبير على بوكانغ Boucaneg (38). وأعرب السيد روجى عن نواياه للعديد من الأشخاص القاطنين عادة بوالو؛ وحدد لهم النهج الذي ينبغي اتباعه، وعندما أيقن أن الأمور قد وصلت إلى مرحلة متقدمة جاء بنفسه إلى النهر. وبعد أيام عديدة من المحادثات، تراوحت فيها مواقف أهل والو طويلا بين القبول بهدية تبلغ حوالي 120 بيصة من النيلة، توزع على كبار الرؤساء في حالة تحقيق السلام، والتمسك بسياستهم القاضية بمساندة حليفهم محمد {بن اعلي} الكوري بدل حرمانه من محطاته وبالتالي من جزء من مغارمه لإثراء عدوهم الدائم أعمر؛ أوقفوا نهائيا أية مباحثات بهذا الخصوص ورفضوا الدخول في مفاوضات مع المبعوثين البيضان. وسرعان ما عاد هؤلاء إلى ذويهم سوى واحدا احتفظ به حتى تعاد ثيران لام صار. وبعد ذلك بوقت يسير، تم ذلك التعويض بشكل ناقص جدا بواسطة خيول ورقيق، وتم إطلاق سراح آخر الرهائن.
{دجنبر1826}. انقضت سنة 1826 بكاملها دون حدوث حرب نشطة بين البيضان. بيد أن آخر حملة شهدتها تلك السنة كانت وبالا بالنسبة لأهل والو. فقد قتل امحمد {بن اعلي} الكوري في هجوم غير مهم قام به ضد حي صغير من أولاد آكشار. وقامت القبائل {المساندة له} على الفور بمبايعة ابنه المختار(39) خلفا له واعترف به أهل والو علنا. ولا يستطيع هذا الشاب الحدث الذي لم يتجاوز16 من

مستوي ذويه بتلك السلطة وذلك التقدير الكبير الذي نالهما امحمد (بن اعلي) الكوري بعد جهود مضنية ومثابرة لا تعرف الكلل.

{8أو10 مارس 1827}. ورغم كل ما حدث لم تنقطع الصلات بين السينغال واعمر. فقد ظل هذا الأخير يعرب عن رغبته في أن يصبح في سلام تام مع الوالي. وعلى الرغم من تلك الصلات وهذه الرغبة المعبر عنها،، فقد تم مجددا نهب ثيران في لام صام. وقام عمال المزارع {الاستعمارية} بملاحقة السراق وتمكنوا من قتل اثنين من تغرجنت Takaraguintes(40). ويدعى أفراد هذه القبيلة أنه لم يكن في نيتهم الاستيلاء على مواشي أهل السينغال، إلا أنهم لم يعيدوا الثيران المنهوبة وطالبوا بدية زميليهما المقتولين.

{ابريل، مايو ويونيو 1827}. تم القيام، مجددا، في هذه الأثناء ببعض المحاولات غير المباشرة للقضاء على بورتانديك؛ غير أنها - كسابقاتها- لم تفض إلى أية نتيجة. وربما يكون من الخطأ أن نأمل الحصول على موافقة أعمر على ذلك مالم يحصل على محطة على النهر تعوض - بما تمده به من ضرائب عرفية- الفوائد التي تدرها عليه المحطة الانجليزية (41). ومع ذلك فقد جرى في هذه الفترة، وهي فترة مغادرة السيِّد روجي لإدارة المستعمرة، العديد من المحادثات غير المجدية.

{اغسطس 1827}. اقترب أعمر وجيشه من النهر في نهاية يوليو، وعسكر على ضفافه أمام فاف Faff مابين 1و2 أغسطس. وأجرى أمير البيضان، بواسطة ابنه محمد الحبيب (42)، اتصلالات مع السيِّد بلكرين Pellegrin(43) وآلين Alin(44) المكلفين - على مايبدو- من قبل السيِّد جربيدون gerbidon (45) بالاستماع إلى مقترحاته. غير أن {محمد الحبيب} رفض أي نوع من التفاوض معهما عندما علم أنهما غير مخولين صلاحيات إبرام تسوية نهائية.

وفضلا عن ذلك، قام أهل والو بجمع قواهم البالغة حوالي 1000 رجل وخيموا على الضفة اليسرى معربين عن عزمهم على اجتياز النهر. وانسحب البيضان، الذين بدأت المواد الغذائية تنقصهم، وأرهقهم تهاطل أمطار قوية طارئة، وغير الواثقين - ربما- من قدرتهم على الصمود في وجه أهل والو؛ انسحبوا في 4و5 {أغسطس}.

وعند هذا الحد انتهت الحملة وتوقفت معها المباحثات. بيد أن أعمر أقسم على أن ينال المحطة {النهرية} أو يموت، لكنه يفضل - في الواقع- إيجاد تسوية بالطرق الودية.

ولم تتبع قبيلتا تغرجنت وأولاد آكشار، أو أجزاء من هاتين القبيلتين، أعمر في انسحابه. فقد تمركزتا في القرى المجاورة للبحر وشنتا من هناك حملات ضد مزارع أهل سان لويس.

ففي ما بين 24 إلى 31 أغسطس 1827، انتزع فرسان حيوانات مزارع لوليه Lollieux وآلين Alin ومواشي لأهل كَت اندر guet-Ndar(46) يبلغ عددها حوالي 400 رأس. وقد رفعت احتجاجات وشكاوي إلى أعمر الذي زعم

{12 نوفمبر 1827}. وسرعان ما تم القيام باعتداءات أشد خطورة حيث هوجمت مزرعة فستال L'habitation la Vestale، واغتيل السير لوليه le Sr. Lollieux وثلاثة من عماله واحرقت المنشأة ونهبت. وجرى الشيء نفسه بعد ذلك بعدة أيام لمزرعة بواروك Bouwarouk التي أحرقت ونهبت وجرح صاحبها (السير موجيه Mougin) جروحا خطيرة وكذا العديد من ذويه.

{17 يناير 1827 - ابريل 1828}. كما قتل في الأيام الأولى من [هذه] السنة عامل من مزرعة مارام توري Maramtouret في لام صار، وأطلقت النيران مؤخرا على العديد من سفننا المبحرة في النهر. وبعد الاطلاع على الأحداث المتقدمة، فإن من حقنا أن نتساءل: هل نحن في حرب أم في سلم مع أعمر؟

نحن في حرب:

1 - لأن أولاد آكشار وتغرجنت المعترفين بسلطة أعمر، مافتئوا منذ عدة سنوات يقترفون سرقة ممتلكات سكان السينغال.

2- لأن منشأتين أوربيتين قد هدمتا من قبل نفس المعنيين.

3- لأن أوربيين وستة زنوج من السينغال قد تم إعدامهم علنا من قبل أناس تابعين لأعمر.

4- لأنه لم يقدم أي تعويض عن كل تلك السرقات والاغتيالات باستثناء التعويض الجزئي عن العملية الأولى ضد قرية لام صار.

ويوسعنا أن لا نعتبر أننا في حرب {مع أعمر}:

1 - لأن سفننا، وإن كانت قد تعرضت لإطلاق النار، فإنها لم تهاجم قط بشكل جدي مقارنة مع ماكان بالإمكان أن يقع لو رغب أعمر في ذلك.

2- لأنه، فيما يبدو، لم يعترض إطلاقا على توجه العلك إلى النهر.

3- لأنه ما فتئ يعرب عن رغبته في السلام معنا ومع أهل والو.

4- لأنه يؤكد، من ناحية أخرى، على أن اعتداءات أناس ضد السينغال قد اقترفت على الدوام رغما منه ومن تحذيراته.

ولنقارن هذه الحجج لنرى أن أولائك الذين يساندون الشطر الأول من السؤال محقون وحججهم محسوسة، وأن حجج الآخرين ضعيفة.

فنحن إذن في حرب حقيقية مع أعمر. وفي مثل هذه الحال ما الذي ينبغي القيام به؟

إن هذا السؤال يطرح نفسه بنفسه، وهو أصعب الأسئلة وأكثرها استعصاء على الإجابة. فالصحراء بالنسبة للبيضان قلعة حصينة لا يستطيع الأوربيون مهما جمتها، ولا نستطيع التفكير في خوض حرب نشطة ضدهم بانفسنا. ولا نستطيع أن نوظف {لهذا الغرض} غير الأعوان، وأولائك الذين يترتب علينا أن نستخدمهم كأعوان هم أفراد قبيلة المختار(47) ولاسيما اهل والو، الأعداء الطبيعيين لأعمر. وإذا ما

ومنحناهم بعض المكافآت؛ فمن المحتمل أن تتم بسرعة معاقبة القبيلتين اللتين الحقتا بنا أكبر الضرر ونصبح، تقريبا، في الموقف الذي كان يترتب علينا أن نكون فيه قبل الاستماع إلى المقترحات التي قد يتقدم بها أعمر مجددا.

وستكون تلك المقترحات، دونما شك، هي نفسها التي تقدم بها في فبراير 1826 (48). فهل يتعين علينا القبول بها؟ اعتقد أن الجواب بالنفي إذا كان ذلك سيؤدي إلى خلافات بيننا مع أهل والو أو إلى حرمان المختار من المحطة الموجودة لديه الآن.

إن التجارب السابقة، وسوء نية أعمر المعروفة تجاهنا؛ تجعلنا نتصور تماما ماسيحدث لو أصبح سيِّد المحطات النهرية. فالمختار المحروم من وسائل لإغراء القبائل، سرعان ما يجدها تجتاز كلها إلى الضفة اليمنى وتنضوي تحت لواء منافسه الماكر. ولهذا السبب سيجد أهل والو - من جانبهم- على الفور أنفسهم أضعف من البيضان ولن يعود بوسعهم، بكل تأكيد، منعهم من التمركز على مقربة من النهر. وما المصير الذي ستؤول إليه، وقتها، منشآتنا الزراعية التي تنعم، في الوقت الحاضر، بأمن تام لأنها تحميها من الخلف مخيمات تشغل كل السهل الممتد بين البحيرة وفاف Faff(49)؟ لكنه عندما يتم إخلاء هذا الخط {الدفاعي}، فستكون {تلك المنشآت} هدفا لهجمات القبائل المتمركزة على الضفة اليمنى التي لا يلزمها أكثر من ساعتين للقيام بهجوم خاطف على مزارعنا والابتعاد بنفسها عن الخطر. ولن يعود العمال آمنين، وبالتالي لن تكون هناك أعمال منتجة.

ومن جهة أخرى، فما الذي سيحدث إذا تحققت كل تلك التوقعات؟ إن أعمر عندما يتمكن من جمع كلمة كل الترارزة من حوله، وهو ماسيحدث لامحالة، سيكون عندها في وضع يمكنه من النضال ضد السينغال ووالو بصفة أفضل من ذي قبل، ولن تنقضي عليه سنتان حتى يعيد فتح محطة بورتانديك. فسيجد من الأفيد له أن يتلقى من الطرفين، وبتلك الوسيلة سيكون من السهل عليه إحكام قبضته على قبائله بحيث لن يتردد فيما تزين له نفسه من إلغاء الاتفاقيات. وستتلو ذلك عما قريب الحرب مع السينغال، كما يتردد على الشفاه، ويفقد {أعمر} ضرائبه العرفية. لكن ماذا يهم أعمر في الموضوع؟ ألم ير على الدوام، منذ أن أصبح ملكا، أنه من الأفضل له الإكثار من خوض الحرب للإكثار من تحقيق السلام؟ أولا يكسب منه باستمرار بضع مائات من بيصات النيلة، لأن كل اتفاقية تدر عليه عادة هدية ذات قيمة كبيرة وزيادة في حجم ضرائبة العرفية وضرائب أمرائه فضلا عن متأخراته من الضرائب؟

وهكذا تتجلى مع الزمن مساوئ سياستنا. فالتجارة بحاجة إلى السلام كما يقال. واعتقدنا على الدوام أنه يترتب علينا تحقيقه بأي ثمن كان؛ ويعرضنا هذا النوع من قلة الصرامة في كل حين- فضلا عن ما خلفه عنا من نظرة احتقارية لدى الأهالي- إلى تجدد تلك الأعمال العدوانية التي يكثر الحديث عن أضرارها ويرغب في تفاديها أشد الرغبة.

هيمنة اعمر على المحطات النهرية وعلى كل بيضان التهارزة، فهل بوسعنا ان نامل تنفيذ هذا المشروع دون مقاومة؟ إن أهل والو يرفضون الحديث عن أي تحالف مع أعمر: فهل سنجبرهم بالقوة على النزول عند رغبتنا؟ لا شك أننا سنفلح في ذلك، إلا أنه لن تعود هنالك {قوة} توازي قوة البيضان، وبالتالي لن تكون هناك زراعات بل لن يعود هناك أمن بالنسبة للملاحة {النهرية} العتيقة وتجارة السينغال الداخلية القديمة. بيد أنه من المستحب، لتفادي المساوئ الخطيرة الآنفة الذكر، أن نتوصل مع أعمر إلى تصالح يكون من نتائجه المباشرة القضاء على بورتانديك، وأن نعرب عن كل الأفكار التي من شأنها أن توصلنا إلى هذا الهدف. وسبق لمحرر هذه الملاحظات أن أعرب في تقرير أخر عن الفكرة القائلة بامكانية إعطاء محطة نهرية لأعمر دون أن تنتزع من المختار {ولد اعلى الكوري} المحطة الموجودة لديه حاليا، ولا علم لي بأي اعتراض جدي على هذا المشروع مع أني لا أنفي البتة إمكانية وجوده. وإنني لأعرض مجددا هذه الفكرة ليتدبرها من هم أكثر مني تبصرا ودراية بالموضوع.

ونعتقد أخيرا، أنه إذا كان أعمر لايريد إطلاقا التنازل عن أي شيء من مطامحه، فإنه لم يبق إلا أن نفرض بالقوة ماكان علينا أن نحصل عليه بالتفاوض. وعندما نصل إلى هذا المستوى من الحزم، يجب أن نعبئ له- وبكل الوسائل- أهل والو وأنصار المختار من البيضان، ونحرص على إيجاد سرية خيالة جيدة بالسينغال لتعزيزهم بها، وأن نعبأ أعداء آخرين ضد {أعمر}، إذا أمكن، مثل إيدوعيش(50) والبراكنة(51)، ونحشد أكبر عدد من السفن الحربية على النهر لا عتراض قوافل الزرع، كما يجب أن نهدم كل قرى كَنار(52)، وأن نعامل القبائل الزاوية، كغيرها من القبائل {الحسانية}، بلاهوادة في هذه الحرب الجديدة، وأن لا نسعى بوجه خاص -كما حصل في السابق- إلى تحقيق السلام عن طريق تنازلات مهينة وباهظة التكاليف لايمكن حصر عواقبها.

سان لويس في 10 مايو 1828
الإمضاء/ أ. برينى

نسخة طبق الأصل
الوالي: جبلين Jubelin

10) راجع: ANSOM: Sénegal et dép.I,cart. 16,doss. 16E :

11) التراريزة: نسبة لتورز بن هناج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان. وتتألف هذه المجموعة، التي بسطت نفوذها العسكري والسياسي على منطقة الجنوب الغربي الموريتاني من القرن 17 وحتى القرن20، أساسا من الأفخاذ الرئيسية التالي:

أولاد احمد بن دامان (وفيهم استقرت السلطة الأميرية منذ القرن17)، وأولاد داماد، وأولاد البوعليه، ولعلب وعزونه. وتنضاف إلى هذه المجموعة المنجانسة سلاليا، مجموعات أخرى عن طرق الحلافة والموالاة.

وقد أصبح الجزء الغربي من منطقة القبيلة الذي تشغله إمارة التراريزة منذ 1630 (راجع: ولد السعد: «الإمارات والمجال الأميري البيضاني خلال القرنين18و19: التراريزة نموذجا» جوليات 2/1990) يحمل كمرادف له اسم التراريزة.

وخلافا لماذهب إليه صاحب نص «ملاحظات بشأن التناعات...»، فإن صغارم التراريزة على والو لا تعود إلى عشرينات القرن19، وإنما تعود - على الأقل- إلى فترة الحرب الأهلية التي اجتاحت تلك المملكة الولفية مابين 1766 - 1786، والتي كرست هيمنة التراريزة الفعلية على ذلك البلد (راجع: باري: مملكة والو. كارتلا 1984 ص:180وما بعدها). غير أن برينى Brunet سيتناقض مع نفسه عندما يؤكد في فقرته الثانية «أن الزمن كان قد كرس تفوق البيضان على الزنوج» عند استعادة الفرنسيين لسان لويس في 1817. ألم يقنع الكولونيل اشمالتز ملك والو أكثر فاكثر امبرصو بأن «الاتفاقية التي تخلى لتوه بموجبها عن ممتلكته لملك فرنسا (اتفاقية 8 مايو 1819) ستحرره تماما من ذلك المغرم البالغ قيمة 4000 فرنك».

(J. Morenas' Seconde petition contre la traite des Noirs qui se fait au Sénégal, Paris 1821)

12) إبراك: لقب ملوك والو منذ عهد اندديان الجاي في القرن 17م الذي دشن «نظام الملكية الانتخابية؟» في هذه المملكة (باري: م.س.، ص:72-78).

13) كان الانجليز قد استولوا سنة 1809 على المركز الفرنسي في سان لويس بالسينغال وتوابعه أثناء الحروب النابليونية، ولم يتم استرجاعه من قبل الفرنسيين إلا في 27 يناير 1817 طبقا لاتفاقيتي اكس لاشابيل (9 يونيو1815) وباريس (20 دجنبر 1815) اللتان ألزمتا الإنجليز بإعادته للفرنسيين.

14) تجدر الإشارة إلى أننا عمدنا في تحقيقنا لهذا النص إلى وضع بعض التواريخ المثبتة بين معقوفتين في بداية الفقرات، وتمثل تلك التواريخ في الواقع حواشي على النص الأصلي مثبتة أصلا في الهامش أو بين الفقرات غالبا.

15) جليان شمالتز Julien Schmaltz (1769-1827): كان مهندس جسور وطرقات قبل أن يصبح مقدما سنة 1808، وأسر أثناء الحرب سنة 1811 وعاد إلى فرنسا في 1813 حيث عين من قبل الملك لواء قائدا لجزيرة اكوادلوب في 1814، وعاد إلى فرنسا سنة 1815 إثر نفي السلطات البونابرتية بتلك الجزيرة له حيث أصبح، في بداية 1816، رئيس مكتب بإدارة المستعمرات بعد إعادته لوزارة البحرية، وعين في 25 ابريل 1816 واليا للسينغال وتوابعها. وكان أحد الناجين القلائل من غرق سفينة La Méduse في 2 من يوليو 1816 على سواحل إفريقيا.

وشرع شمالتز، فور استعادته سان لويس في يناير 1817، في صياغة مشروعه للمستعمرة الزراعية في السينغال، طبقا للتعليمات الموجودة لديه، الهادفة إلى ملاءمة الحضور الفرنسي بالمنطقة مع المتطلبات الجديدة المتولدة عن حظر تجارة الرقيق عبر المحيط، وإعادة فرنسا لإعاناتها المالية في مجال الاستيطان.

والتي يقدم لنا هذا النص صورة جزئية عنها.

وعند ما عجز شمالتز عن التحكم في الصاعب المثارة من كل جانب، ولاسيما من طرف التوارزة وفوته، استدعي إلى فرنسا في 3من يوليو 1820 وعين مكانه الرائد البحري لكوبي Le Coupé .

16) الإمام بوبكر: هو الزعيم الزمني والروحي لمنطقة ديار المتوفى سنة 1851. وقد عرف بسعة معارفه الإسلامية التي نالها في الأساس من محضرة «بُيرْ» الشهيرة في كابور.

17) ديلار: هو الإقليم الغربي من فوتا تورو الممتد على ضفتي النهر من حدود دكّانه الشرقية غربا إلى مستنقع Marigot دُوَي Doué شرقا. وتعتبر «ديلمات» و«تيلي- بوبكر» أهم مراكزه الحضرية. وترجع التقاليد المحلية اشتقاق تسمية هذا الإقليم إلى أصل مشرقي فتجعل من «ديار» و«ديالات» مجرد تحريف لاسم «دمشق» (راجع: إيف سان مارتين: السينغال في ظل الامبراطورية الثانية (بالفرنسية)، كارنيلا 1989، ص:78).

18) يتعلق الأمر باتفاقية 8 مايو 1819 الموقعة من قبل أعمر فاتيم امبورسو (1812-1821) وكبار زعماء مملكة والو لإقامة المستعمرة الزراعية في بلادهم، بعد يومين من المباحثات بين الوالي شمالتز والبكنك اديوريل برام كورا، مقابل ضريبة عرفية سنوية جديدة ومغربة قدرها 10.358,64فرنك (لم تكن تمثل سوى 1.357,06 فرنك) وتعهد شمالتز بحمايتهم من التوارزة (راجع: ANS 1362).

19) يشير الكاتب إلى عودة شمالتز من باريس في 13 مارس 1819، بعد استدعائه للتشاور بشأن مشروع الاستعمار الزراعي.

20) كانت تلكم أولى تجليات ردة فعل التوارزة بقيادة أعمر ولد المختار ضد اتفاقيتي 1819 مع والو وامحمد بن اعلي الكوري (وقعتا على التوالي في 8مايو و15نوفمبر)، المسيئتان إلى التوارزة والمضرتان بمصالحهم. وقد تم الإعلان عن ردة فعل التوارزة تلك منذ يوليو1819 ووضعت قيد التنفيذ في 21 سبتمبر 1819 بالهجوم على قرية انتياكار NTiagar حيث كان يوجد الملك ومعظم وجهاء بلده.

21) الكومي (جان باپست Jean Baptice): رائد بحري ووالي السينغال بعد الكولنيل شمالتز من 3 يوليو 1820 إلى 26 يوليو1821. وقد وقع في 7 من يونيو 1821 اتفاقية السلام مع التوارزة التي أنهت حرب الاستعمار الزراعي الأولى.

22) يتعلق الأمر باتفاقية 7يونيو 1821 التي أبرمت بشغل وساطة تجار سان لويس ولاسيما المولد السانلويسي ابلگريه Pellegrin الذي يرتبط بعلاقات حسنة مع التوارزة، وبالذات مع محمد فال ولد عمير النافذ وقتها على مستوى قومه ووقعت معه في نفس اليوم اتفاقية أخرى (سرية هذه المرة).

23) هو محمد فال بن عمير بن سيدي المختار بن الشرفي بن هدي بن احمد بن دامان. ويتسع فرع أهل سيدي المختار ولد الشرفي بنفوذ كبير على مستوى إمارة التوارزة، ومملكة كابور الولفية منذ أواسط القرن18 (راجع ولد الشيخ: «"قائدية" بدون "قائد"»، الوسيط رقم1/1987 ص:17 وما بعدها). وقد اغتيل محمدفال، مع ثلاثة من مرافقيه، من قبل ابراهيم والد الإبن الأكبر للأمير أعمر ولد المختار في شهر مارس 1822 قبالة بورتاندبك (اجريده حاليا)، حيث كان يحاول منع التبادل مع الأنجليز وفقا للالتزامات التي قطع على نفسه بسان لويس في 7 يونيو 1821. وذكر النابغة الغلاوي في منظومته الوعظية «أم اطريد» مقتل ابن عمير فقال:

وابن عمير عند جور جارا	فصار للشاطئ ثم جارا
ترميه الأمواج بكل الزبد	أعجوبة دالة في الأبد

24) بلغت تلك الضريبة العرفية المسددة من قبل الإدارة الفرنسية، والمساوية لضريبة الأمير، 1494 فرنك.

(Sénégal et dép. I, Carton 8, Doss. 8c).

25) يرجع وجود محطة بورتانديك إلى الربع الأخير من القرن17 . فقد دفع استيلاء الفرنسيين على آركّين في 28 أغسطس1678 الهولنديين، المبعدين من آركين والحريصين على تجارتهم العلكية على السواحل الموريتانية، إلى فتح محطة تبادل على الساحل أكثر توغلا نحو الجنوب أطلقوا عليها إسم ميناء هدّي Porto d'Hâddi (بورتانديك لدى الفرنسيين و"مرسى جور" أو "الجبل" لدى سكان المنطقة). وظل الهولنديون يرتادونها حتى اتفاقية لاهاي في 13 يناير 1727 التي تنازلوا بموجبها للفرنسيين عن حقوقهم في التبادل على السواحل الموريتانية مقابل تعويض مالي.

26) يتعلق الأمر بابنه ابراهيم والد الذي سنم تصرفات محمدفال المتحدية لسلطة الأمير اعمر ولد المختار. وقد قتل ابراهيم والد سنة 1822/1237 في معركة غسرم التي دشنت الحرب بين اعمر ولد المختار وعمير في أعقاب أغتيال محمد فال ولد عمير.

27) هو عمير ولد سيدي المختار ولد الشرغي ولد هدّي ولد احمد بن دامان المتوفى قبيل 1826 بقليل. كان شخصية نافذة في إمارة الترارزة في نهاية القرن18 وبداية القرن 19 ، حيث نجد اسمه في مكان متميز من قائمة المستفيدين من الضرائب العرفية لسنتي 1817 و1821 . ونجد توقيعه مباشرة بعد أعمر ولد المختار على النسخة الأصلية من اتفاقية 7 يونيو 1821.

28) ليس أعلي الكوري (والد امحمد) الذي تولى إمارة الترارزة من 1771 إلى 1786 ، آخر أمراء أهل اعمر ولد اعلي شنظوره كما يزعم صاحب النص. فقد تلاه ثلاثة أمراء هم أبناء أخيه المختار الثلاثة (امحمد، عالية وأعمر) قبل انتقال السلطة إلى أهل الشرغي ولد اعلى شنظوره في 1800 عقب وفاة أعمر ولد المختار الملقب ولد كنبه (1794-1806).

29) إن الاتفاقية الوحيدة التي وقعها، فيما نعلم، امحمد ولد اعلى الكوري- المطالب بعرش الترارزة- مع الفرنسيين هي اتفاقية 15 نوفمبر 1819 مع الكولنيل شمالتز ولاتتضمن موادها السبع أي بند، ولاحتى أية إشارة، بهذا الخصوص. وربما كان مايقصده الكاتب هو الإلتزام الشفهي الذي أخذه بهذا الصدد امحمد للبارون روجي، والي السينغال الجديد، الذي أمرته التعليمات الوزارية «بالبحث عن أفضل السبل الكفيلة بالحيلولة دون توجه العلك» إلى بورتانديك (ANSOM: Sénégal et Dépendances I, Carton 8, Doss. 8). فقد جاء في رسالة روجي Roger إلى كاتب الدولة للبحرية والمستعمرات، دكليرمون تونير De Clermont-Tonerre، الصادرة في 4 من ابريل 1822 بهذا الخصوص مانصه: «... لقد وعدني أحمد الكوري Amdou Forry (امحمد ولد اعلي الكوري)، ابن أمير الترارزة الأخير، الذي سبق وأن تعرفت عليه وكان في انتظاري بسان لويس، بأن يمنع الزوايا من التوجه إلى بورتانديك أو نقل مخيمه إلى ناحيته لإرهابهم عن طريق القيام ببعض الغارات النهبية؛ وهو ما يكفي لإنهاء التبادل في ذلك المركز. ولم أعقد معه أية اتفاقية مكتوبة أو صريحة بهذا الشأن، وإن كنت لم أرفض العرض الذي دفعته إلى تقديه إلي، مؤكدا له أن أي خدمات يقدمها للسينغال سينال مكافأتها. وفضلا عن ذلك فسأنه لم يكلف حتى الآن خزانة الملك أي شيء...» ANSOM: , Sénégal et Dependances I, Cart.8, dos 8c-

30) يتعلق الأمر في الواقع بابنه امحمد ولد أعلى الكوري، منافس أعمر ولد المختار على عرش الترارزة ما بين 1826-1810.

31) لا تتضمن مواد اتفاقية 1821 الثماني عشرة أي بند بهذا الخصوص. ويبدو أن الكاتب خلط بين هذه الاتفاقية واتفاقيتي 17 يوليو و9 أغسطس 1824 مع البارون روجي.

32) البارون روجي: محام في الأصل، وإلى السينغال من 26 يوليو 1821 إلى فاتح مارس 1827.

34) مادينكوبه الأدبيات الفرنسية في القرن19 هو آدليك الحالي الواقع في أقصى جنوب غربي منطقة الترارزة.

35) محمد شين Hamet Chein: يتعلق الأمر في الواقع بسيدي أحمد بن امحمد شين. الشخصية النافذة في أهل سيدي المختار ولد الشرغي وأحد أعوان أعمر ولد المختار المقربين الذي نجده هنا يوقع باسمه، كما سنجده على رأس وفد الترارزة المفاوض لتذليل الخلافات مع الفرنسيين المتولدة عن زواج محمد الحبيب من الأميرة اجنيت وصية عرش والو في 1833.

وسيوقع في 1842، مع والي السينغال، اتفاقية حول طرق جباية مغارم أسرته على كابور. وكان سيد احمد هذا زعيم خندوسة المشاقة لمحمد الحبيب والمهاجرة إلى آدرار سنة 1847. أما والده امحمد شين فمتوفى سنة 1827.

36) يقصد الكاتب "بالبيداد" قبيلة لبيدات، وهي قبيلة حربية من الدرجة الثانية يربطها بعض النسابة البيضان بارميث بن أودي بن حسان (راجع: الحسوة... ص:124).

37) يعلق الأمر بقبيلة أولاد آكشار التي تؤلف مع أولاد بنيوك مجموعة عزونة المنحدرة من أعلي بن تروز.

38) كان ذلك الوقد مؤلفا من احمد ولد اعمر ولد المختار المعروف بابن الليكاط، واحمد بن ببكر الصديق، واحمذوت، ومحمد بن سيدي الذي سنجده في مفاوضات مارس 1829 الشاقة.

39) بوكاناك ادمنيل: رئيس عبيد عرش والو الذي كان يتولى إدارة الديوان الملكي فيها. وسيصبح مع انتصار حزب تيودر Tyeddo الحربي واحدا من كبار وجهاء والو حتى لعب دور«رئيس الوزراء» في هذه المملكة (راجع عنه: بابي: 103/1972).

40) المختار بن امحمد بن اعلي الكوري (1811-1832): ولد في بداية حرب الخلافة على عرش الترارزة بين الجناحين الإميريين من أهل اعلي شنظوره، وكان عليه أن يتحمل مبكرا تبعات ذلك الصراع. فقد وجد نفسه، وهو في 16 من عمره، مجبرا على تحمل أعباء خلافة أبيه (المقتول في دجنبر 1826) على رأس معارضة الترارزة للاستيلاء على عرش الإمارة.

ويشهد لحداثة سنه عند توليه زعامة معارضة أهل أعمر ولد أعلي، ولمكانته فيهم وفي أخواله ابدوعيش، قول ابن مانو في اتهيدينت «لوصايه» (الوصية):

[...] ذَاكَ الزَيْنْ أعْلِيكْ يَالْمُخْتَارْ	النَّاسْ مَا اسْغِيرْ كُونْهَا فِيكْ
وانْتَامَا سِيلْهَا ابَاشْ تْخَوَّارْ	مَنْ يَوْمْ يَدِلْ اعْلَ إلاَّ سْتِيكْ
لَيْنْ اكْطَعْتْ لِسْكَرْوِنْ مَنْ ذِ الدَّارْ	مَكْطْ خِصَّرْتَنْ النَّاظِرِينْ فِيكْ
أَسْبَابَكْ مَا خَلْكَتْ كَاعْ لَخْبَارْ	اشْيَاخْتْ بُوكْ ابْكَاتْ فَايْدِيكْ
أكْلَكُمْ عَنْدْ لَشْنِيِنْ تَنْدَارْ	أهْوَ احْجَبْهَا لَكْ لاَحْ فِيكْ
إلَى عَادْ هُوَ وَلْحْ المْخَسْتَارْ	عَمُّكْ لَمِيرْ اشْيَاخْتْ فِيكْ
أبُوكْ امْحَمَّدْ عَمْنِينْ تَشَكَّارْ	اشَّيْخْ أعْلَ ابَّاتْ الكَوْمْ ذِيكْ
أبُوكْ أعْلِ الكَوْرِ شِيخْ مَحَصَّرْ ازْبَارْ	امْصَابَتْ أمْتَيْنْ يَحَصَّرْ انْوَارِيكْ
وانْتَ مَا أكَلْ فِيكْ مَنْهُمْ لحْرَارْ	ألاَهُمْ أخَيْرْ وَالدَيْهُمْ مَنْ وَالدَيْكْ
وانْتَ امْخَرَّجْ أعْلِيهُمْ بَنَهْلْ بَكَّارْ	وَلْ أعْمَرْ بِيهُمْ أمْتَنْ ازْرِيكْ [...]
مَزَيْنْ مَا وَنِيتْ بِسَالْمُخْتَسَارْ	أبَرْ مَكْسَادْ أعْلْ حَدْ خَاطِيكْ
أبَرْ مَطَّانْ مَفَاتْ شَابْكْ أخْطَارْ	اجْمَاعْتَكْ كَامَلْ امْجَمَّعْ اعْلِيكْ...

وقد قام أنصاره وحاميه يريم امبانييك ملك والو«بتنصيبه ملكا للترارزة»، كما اعترف به السينغال بحكم الخدمات الجليلة التي قدمها والده للفرنسيين» (مونسرات Monserat/16). غير أنه بموت امبانييك في دجنبر 1827، الذي

سياسة تصالح مع أعسر ولد المختار الذي توطدت سلطته فعلا وخاب كل أمل لدى الفرنسيين في تحقيق مشروع الاستعمار الزراعي: (ANS, 2B12, C.G. au M. St-louis, le12 Mai 1828).

ويقول مونسرات أن المختار «الذي أزدرى به الزنوج في العديد من المواقف، قد ضاق بهم ذرعا وقرر الإستسلام لأبن عمه محمد الحبيب والتعهد له بالتخلي عن المطالبة بالسلطة طيلة حياته مادام أسن منه. وعليه فبأنه سينضوي - دون عناء - تحت لوائه مادام حيا بدل أن يظلا على الدوام في شقاق وحرب مفتوحة لا يمكن إلا أن تضعف كلا منهما وتلحق به الضرر. غير أنه قد نص على أنه سيثأر بنفسه من قاتل أبيه، وهو عالم بتنفيذه».

بيد أن محمد الحبيب «لم يغضب عندما وجد المختار نفسه إلى برليو (1831) متهما بين قتلة جاك ماليفوا Jacque Malivois، والذين يضمون، إلى جانبه، أعسر ولد اعلي ولد أعسر بوشارب وسيدي احمد ولد آغنيب واحمد ولدهيبه. وأعلن الفرنسيون، على الفور- مدعومين من قبل أهل الو- الحرب على التوارزة. ولم تضع تلك الحرب أوزارها إلا عند ما قبل محمد الحبيب، في النيابة، توقيع اتفاقية سلام مع الوالي كرنل Quernel في 24أغسطس 1831 تنص على أن القتلة يجب أن ينفوا من أرض التوارزة.

وعند ما توجه المختار إلى سان لويس «للتفاهم مع الوالي بشأن خوانيه العرفية» الملغاة بعد اغتيال مالفوا، ألقي القبض عليه وحوكم ونفذ فيه حكم الإعدام في 19 ديسمبر 1832 طبقا للحكم رقم: 551 الصادر في فاتح ديسمبر 1832 عن المحكمة الابتدائية بسان لويس (راجع بهذا الخصوص: Sénégal, greffes de St-louis, T 17/1832).

وتذكر التقاليد الشفهية التوزية أن محمد الحبيب نصح المختار بعدم التوجه إلى سان لويس وحذره - دون جدوى - من عواقب ذلك السفر المشؤوم.

وخصصت Le Journal du Havre في عددها الصادر في 26 أغسطس 1834 مقالا مطولا لذلك الاعدام وانعكاساته على علاقات مستعمرة السينغال مع التوارزة، اعتمادا على «رسائل واردة من سان لويس». ويعطي صاحب هذا المقال رواية عن الأحداث مغايرة، في أكثر من نقطة، لرواية مونسرات. ويختم هذا الهامش المطول عن المختار ولد اعلي الكوري باستشهاد طويل من المقال المذكور لما يعطيه من معلومات تفصيلية هامة عن نهاية المختار المأساوية مادامت المصادر المحلية قد صمتت عنه صمتا غريبا إلى حد أن بعض أولاد احمد بن دامان أنفسهم يجهل أنه المعني «بالتهديدات الوصائية» ويتساءل عن صاحبها:

"... كان الشاب المختار ولد امحمد ولد اعلي الكوري Moctar Ambmdoul Kairy يطالب بمبرات أبيه، وفي أعقاب نقاش مع أحد زنوج سان لويس يتهمه بالعمل لصالح منافسه، أطلق عليه المختار النار. ولم تصب تلك الطلقة البتة الزنجي إلا أن أنصار المختار، خدمة منهم لأهدافه، أطلقوا النار من بعد بشكل أفضل مما رأوه يفعل- ودون تشاور معه- على الزنجي الذي توفي فيما بعد متأثرا بجراحه. وأراد السيد دسين جرمين De Saint-germain أن ينتقم لمقتله من البيضان الموجودين وقتها بسان لويس، فوضعهم في الأغلال وأجبرهم على حمل رمال المدينة. وهاجم قافلة مسالمة كانت تجتاز من ضفة كنجول.

وسرعان ما أضفعت تلك السياسة الحمقاء بشكل آخر من أشكال الحزم.

كان المختال الزنجي السانلويسي مالفوار Malivoire قد اختفى منذ أكثر من سنتين عند ما جاء المختار إلى كث اندر Quit-en-Dal يطالب بالضرائب العرفية التي تسدد لزعماء البيضان مثل الملوك أوملاك الأرض. ورفض السيد دسي جرمين تسديدها للمختار متهما إياه بالاغتيال الذي تبع مسؤوليته عليه، وطالب المختار بتبرير موقفه، وتوجه رفقة حاشيته إلى مقر الوالي. وأقدم هذا الأخير على اعتقاله وتقديمه فورا إلى المحاكمة أمام محكمة صورية حكمت عليه بالإعدام.

فرنسيه، فقد كان من اللازم ان تطبق عليه كل احكامها؛ على الرغم من كل ذلك القي الامير الشاب في حوش لايتجاوز عرضه ستة أقدام وأعدم رميا بالرصاص ورمي جثمانه للضباع.

لم يكن المختار، وقتها، قد تجاوز السابعة عشر من العمر. وإذا كانت حداثة سنه، وشجاعته، وجماله الذي يذكر بجمال أمه- الشهير لدى التوارزة- لم تشفع له ولم تفده سوى مشاعر عطف مبتذل. فإن التأثير الذي يتمتع به بين صفوف قومه كان ينبغي أن يشفع له ويبقيه على قيد الحياة خدمة لمصالح البلد التي يمثلها والينا بالسينغال، ووصف مكتوب موجه إلى عدد من أعضاء الغرفتين تعذيب المختار بأنه من باب العدالة والصرامة. فإما أن تكون المعلومات التي زودنا بها شهود عيان خاطئة تماما، أو أن ذلك التعذيب لا يعدو كونه اغتيالا قيم به إثر نصب كمين.

ويمكن القول إن هذا الإعدام، شأنه في ذلك شأن إعدام آخر أكثر شهرة، كان أكثر من جريمة، إنه خطيئة يكفر عنها اليوم السينغال تكفيرا باهظ الثمن.

فغور العلوم بمصير الشاب الشيخ المختار، استطى أفراد حاشيته من البيضان صهوات جيادهم وساروا في كل الاتجاهات ينذرون شعوب الصحراء بماحدث [للمختار]. ومنذ ذلك الوقت بدأت أعمال عدائية لامتناهية ضدنا. وقد انتهز محمد الحبيب نفسه، الذي خلصه لتوه دسين جرميه بطريقة لاسياسية من منافس (يحسب له حسابه)، الفرصة السانحة لإعلان القطيعة معنا بحجة الثأر لأخ. وسرعان ما أصبحت سان لويس محرومة من كل التموينات التي تحصل عليها من والو، وأضحى لزاما عليها أن تشتري من الانجليز الزرع والقطن الذين لم يعد بالإمكان الحصول عليهما من بلد مجتاح بكامله. وأصبحت غارات وهجمات البيضان أكثر اضطرادا وجرأة. وغدت المستعمرة محاصرة في سان لويس، وكرس محمد الحبيب احتلال عصاباته لوالو بزواجه من وصية عرش ذلك البلد. وحاول السيد دسين جرميه كل مافي وسعه للحيلولة دون ذلك القران. وأراد أن يعزز تهديداته باستعراضات عسكرية، فقام بحملة توفي أثناءها ولم تسفر إلا عن حرق قرى زنجية(...). وواصل السيد كرنل quertnel تلك الحرب (...) المستمرة حتي اليوم، والتي لا يتوقع انتهاؤها الوشيك بالنظر إلى إمكانات المستعمرة ...»

41) تغرجنت: إحدى قبائل التوارزة الكحل، وتجعل منهم التقاليد الجنيالوجية المحلية إحدى مكونات أولاد رزك التي استقرت في عزونة على ضفاف النهر.

42) طبع الصراع المحتدم بين الانجليز والفرنسيين من أجل السيطرة على محطة بورتاندبك (اجريده حاليا) بطابعه القوي العلاقات بين هاتين القوتين الأوربيتين طيلة القرن 18 والنصف الأول من القرن 19 حيث تأزم الوضع فجأة بين إدارات المستعمرات والسفارات إلى حدّ أن الصحافة والغرف التجارية والبرلمانات الأوربية قد أعطت صدى عنها. ويجد هذا التنافس أساسه في النضال من أجل السيطرة على تجارة العلك واحتكارها التي كانت، وقتها، «كل شيء بالنسبة للسينغال». ويعطي كل من دلكور Delcourt (1952: الفصلان 3و4) وباسكي Pasquier (1987: ج3/1321-1362) ما فيه الكفاية من المعلومات حول قضية بورتاندبك هذه. أما بالنسبة للتوارزة، فقد كانوا يقدرون حق قدرها الأهمية الاستراتيجية والتجارية والسياسية لبورتاندبك في علاقاتهم مع القوى الأوربية. فلم يقبلوا أبدا التخلي عنها وحرصوا على مايوفره لهم موقعهم الجيوبولتيكي من هامش مناورة إزاء التنافس الفرنسي الانجليزي. وليس من باب الصدفة أن يتزامن أول انتصار حاسم تحققه مستعمرة السينغال في صراعاتها المتكررة مع التوارزة مع رحيل الانجليز النهائي عن الساحل الموريتاني سنة 1857.

43) محمد الحبيب: يعتبر واحدا من أبرز الأمراء في تاريخ الإمارات البيضانية وأعظم أمراء التوارزة على الإطلاق. وقد تقلد زمام الأمور في التوارزة بعد وفاة أبيه أعمر ولد المختار في يناير 1829 وحتي 15 سبتمبر 1860 حيث تم اغتياله من طرف أبناء إخوته بقيادة سيدي احمد ولد اعلي خملش. واستطاع محمد الحبيب، الذي يعتبر عهده الطويل الممتد على مدى 31 سنة «العهد الذهبي» للإمارة، بفضل مهاراته السياسية وقوة شخصيته أن يوطد سلطته في الداخل ويهيمن

الكيانات السياسية المجاورة لنهر السينغال، حجر الزاوية في خلافاتهم المتكررة مع محمد الحبيب التي تحولت مرتين إلى حروب مفتوحة (1833-1835و1855-1858). وفي نهاية هذه الحرب الأخيرة، تمكن فيدهيرب Faidherbe (1818-1871) في النهاية أن يحمل محمد الحبيب على التوقيع على اتفاقية 20مايو1858 التي كرست قاما انتصار البرنامج الذي رسمته مستعمرة السينغال الفرنسية لنفسها بوضوح مع بوي وبيتز Bouet-willaumez (6 نوفمبر 1844) وبعث من مرقده في شكل توجيهات رسمية للوالي ابروتي Protet طبقا لبرقيتي وزير المستعمرات ديكوس Ducos الصادرتين في4و5 يناير 1853، والمجدد من قبل فيدهيرب في رسالته الصادرة في 19 يناير 1855 (ANSOM: sénégal I, dos. 41 b.).

44) فرانسوا بلكرين F.Pellegrin: مولد سانلويسي، كان يرتبط بعلاقات متنوعة مع التوارزة مكنته، في مناسبات عدة، من إنقاذ المفاوضات الفرنسية- التروزية من الانهيار ويتوصل إلى حل وسط مقبول لدى الطرفين.

45) شغل آلين Alin منصب عمدة سان لويس في النصف الأول من القرن19.

46) جربيدون Gerbidon : رئيس المكتب الثاني في إدارة المستعمرة، ووالي السينغال وكالة من 4 مارس إلى 18 مايو 1827 حيث أصبح والي السينغال إلى غاية 15 سبتمبر 1827.

47) كيت انير: بمعنى مربض سان لويس، ويقصد به، وقتها، قرية كبيرة تقع على الكثيب الرملي المقابل لسان لويس، تمر منها القوافل القادمة من الضفة اليمنى للنهر.

48) يقصد أنصار المختار ولد احمد ولد اعلى الكوري من التوارزة الذي كان لاجئا في والو (راجع الإحالة 39).

49) يتعلق الأمر بالمقترحات التي أفضت إلى اتفاقية 6يونيو 1826.

50) البحيرة باقاني: يعني الكاتب في الحالة الأولى بحيرة باني فول Panier Foule بوالو، أما بلدة «فاف» فتقع على الضفة اليسرى للنهر على بعد 4 أميال إلى الغرب من ريشارتول، وهي إحدى المؤسسات الزراعية الأربع المقامة في والو بموجب قرار 19 أغسطس 1824 والمصادق عليه بموجب قرار وزير البحرية والمستعمرات رقم:248 الصادر في 27 اكتوبر 1828. وكان يوجد بها سنة 1825، في إطار تجارب الاستعمار الزراعي، مزرعة قطن من 100 هكتار مزروعة «يعمل بها25 رقيقا(...) كما يعمل بها- حسب أهمية الأعمال- من 25 إلى75 من الزنوج الأحرار(...) فضلا عن 50 إلى 60 رأسا من الأبقار وثيران العمل...» (ANSOM: Sénegal xx, doss. 16).

51) ابيدوعيش: هم المجموعة الصنهاجية الوحيدة التي تمكنت، ابتداء من النصف الثاني من القرن 18 من بناء إمارة بمنطقة تكانت. وتنقسم قبيلة إبدوعيش إلى عدة أفخاذ أعيد تنظيمها أوائل القرن19 في ثلاث مجموعات كبرى متميزة هي: أبكاك، اشراتيت وأهل سيدي محمود (راجع: باب ول الشيخ سيديه: تاريخ إبدوعيش ومشظوف، وولد الشيخ: م س/ 327 وما بعدها).

52) البراكنة: تطلق هذه التسمية عموما، كما هي الحال بالنسبة للتوارزة، على مجال جغرافي وبشري بسطت عليه ذرية بركني بن هداج سلطتها الإميرية منذ أوائل القرن 17.

أما البراكنة من الناحية الجنبالوجية فيتألفون من ثلاث مجموعات كبرى هي: أولاد عبد الله، وأولاد احمد وليتامه... ولمزيد من المعلومات عن هذه الإمارة يمكن الرجوع إلى: هادين بن الشيخ سيديه: كتاب الأخبار، الدفتر 4، وولد الشيخ: م س، ص ص:298-312.

53) كنار: إسم يطلقه سكان الضفة اليسرى لنهر السينغال على أقصى الأجزاء الجنوبية الغربية من منطقة التوارزة وعلى سكانها القاطنين على الضفة اليمنى.